

فرع مقالات الفرق الدينية

وأهم مصادرها السنية

أ.د. حامد طاهر (*)

تحتل مقالات الفرق الدينية مكاناً هاماً في تاريخ الفكر الإسلامى القديم، فهي تسجل حركة ذلك النشاط المذهبى الذى بدأ محتتماً فى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ) واستمر طيلة حكم الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ)، وحتى وقت متأخر من تاريخ الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ) ومن المعروف أن هذا النشاط المذهبى، الذى يدور أساساً حول العقائد الدينية، قد اختلط - إلى حد الامتزاج أحياناً - بالتقضايا السياسية، والمواقف الفكرية والاجتماعية فى المجتمع الإسلامى.

ومنذ سبعين سنة تقريباً، أطلق الأستاذ محمود الخضيرى - رحمه الله - على مجموع هذه المقالات اسم "علم مقالات الفرق" منبهاً إلى أهميته للمؤرخين عموماً، ثم لكل من دارسى الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، والفقه، والأصول، ومشيراً إلى اهتمام علماء الغرب بهذا الفرع من العلم عندهم، بل واهتمامهم أيضاً بما كتبه علماء المسلمين من مؤلفات قيمه فيه^(١).

وغرض هذا البحث ينحصر فى محاولة التعرف على أهم المصادر السنية التى يمكن الرجوع إليها حالياً، تمهيداً لحصر المادة الضخمة والمتناثرة لفرع مقالات الفرق الدينية. ومن الطبيعى أن نستبعد هنا المصادر الشيعية، ومصادر الفرق الأخرى، كالمعتزلة مثلاً، لأنها اهتمت فقط بالتأريخ لنفسها،

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق، وأستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم.

فرع مقالات الفرق الدينية

دون أن تعطى أى اهتمام لمقالات الفرق المخالفة لها . أما المصادر السنية فإنها تتميز بشمولها معظم المذاهب والأفكار التى ظهرت على مسرح الحياة الدينية لدى المسلمين ، سواء كانت هذه الأفكار خاصة بها، أم تابعة لأصحاب المذاهب الأخرى . صحيح أن المصادر السنية كلها تصدر عن دافع واحد هو الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة إلا أنها قد حفظت لنا الكثير من مواقف خصومهم ، بل إننا لا نتجاوز إذا قلنا إنها قد أحسنت فى معظم الأحيان عرض هذه المواقف بإنصاف وأمانه جديرين بالتقدير .

وفى البداية ، لابد من التمييز بين نوعين من هذه المصادر :

أولاً : مصادر غير مباشرة ، وهى تتمثل فيما ورد عن الفرق الدينية ومقالاتها فى ثنايا كتب التاريخ الإسلامى (مثل البداية والنهاية لابن كثير ، والمنتظم لابن الجوزى) وكتب الجغرافيا (مثل أحسن التقاسيم للمقدسى ، والخطط للمقريزى) وكتب التفسير (مثل التفسير الكبير للرازى، والكشاف للزمخشري) وكتب الأدب العربى (مثل الامتاع والمؤانسة ، والمقابسات لأبى حيان التوحيدي ، والكامل للمبرد ، والمعارف لابن قتيبة) .

وغنى عن التأكيد أن هذا النوع من المصادر غير المباشرة يحتوى على معلومات تاريخية هامة جداً بالنسبة لنشأة الفرق الدينية وتطورها ، وكذلك بالنسبة إلى تفاعلها فيما بينها ، وصدائها فى المجتمعات الإسلامية .

ثانياً : المصادر المباشرة ، وهى التى تهمننا فى هذا الصدد ، وقد كان الغرض من جمعها وتصنيفها ثم تحليل مضمونها أن نسجل آراء الفرق المختلفة كما نحاول حصر فروعها المتعددة . ولكى يظهر بوضوح "خط التطور" الذى سار فيه هذا الفرع من الدراسات الدينية ، يمكننا الآن - بعد أن نشرت أهم مخطوطاته - عمل قائمة مرتبة تاريخياً - تبعا لوفاة المؤلفين فيه :

القرن الهجرى	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة وفاته
الرابع	- مقالات الإسلاميين - التنبيه والرد	الأشعري المطلى	٣٣٠ ٣٧٧
الخامس	- الفرق بين الفرق - الفصل فى الملل والأهواء والنحل - التبصير فى الدين	البغدادى ابن حزم الاسفراينى	٤٢٩ ٤٥٦ ٤٧١
السادس	- الملل والنحل - الغنية لطالبى طريق الحق	الشهرستانى عبد القادر الجيلانى	٥٤٨ ٥٦١
السابع	- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	الرازى	٦٠٦
الثامن	- المواقف	الإيجى	٧٥٦

وإن مجرد نظرة سريعة على القائمة السابقة يبين بوضوح أن التأليف المنهجى إنما بدأ فى القرن الرابع الهجرى ، أى بعد ظهور وتطور الفرق الدينية خلال القرون الثلاثة الأولى ، وأن القرن الخامس هو أكثر الفروق اهتماما بالتاريخ لتلك الفرق حيث يحتوى على ثلاثة مصادر مهمة للبغدادى وابن حزم والاسفراينى ، مع ملاحظة أن مواقف الإيجى الذى يظهر فى القرن الثامن لم يكن سوى مختصر شديد التركيز للفرق الدينية ، ويمكن اعتباره بداية النهاية لهذا الفرع فى تاريخه القديم عند المسلمين .

وتقودنا الملاحظة السابقة إلى تقرير أن ذروة خط التطور فى فرع مقالات الفرق الدينية يكاد يتزامن مع انحسار موجة هذه الفرق فى المجتمع الإسلامى . ويبدو أن القرن الخامس كان هو النهاية الفعلية للصراع المذهبى الحاد بين تلك الفرق ، خاصة وأنا نشهد فى هذا الوقت ، وبالتحديد سنة (٤٠٨هـ) تدخلاً حاسماً من جانب الخلافة العباسية بإلزام الناس عقيدة واحدة، حظيت بموافقة الفقهاء حينئذ ، وصدر بها مرسوم عام فى عهد الخليفة العباسى القادر (٣٨١-٤٢٢هـ) عرف باسم "الاعتقاد القادرى"^(٢) .

وسوف نعرض فيما يلى لتلك المصادر التى وردت فى القائمة السابقة، عارضين لكل منها على أساس تحليلى ونقدى ، محاولين فى نفس الوقت أن نسجل استمداد بعضها من بعض ، أو تميزه عن غيره .

١-مقالات الإسلاميين للأشعرى

يمكن القول بأنه مع مقدمة الأشعرى لكتابه (مقالات الإسلاميين) يبدأ التأليف (المنهجى) فى فرع مقالات الفرق الدينية . وهو يستهله ببيان هذا الفرع باعتبار أن الإمام به شرط أساسى لمعرفة الديانات بصفة عامة ، والتمييز الصحيح بينها^(٣) ، ثم يسجل بعد ذلك عدداً من الملاحظات النقدية الهامة على المؤلفين قبله فى هذا الفرع ، فيأخذ عليهم خمسة عيوب ، بعضها خطير جداً ، وهى :

- التقصير فى عرض المسائل .
- الغلط فى ذكر آراء الخصوم .
- تعمد الكذب على الخصوم بقصد التشنيع عليهم .
- عدم التقصى الكامل فى تتبع آراء المختلفين .

-إضافة آراء لم يقل بها الخصوم لإلزامهم بالحجة^(٤) .

ولا شك أن مثل هذه الملاحظات تعكس الجو العلمي والثقافي الذي كتب فيه الأشعري . ويبدو منه بوضوح ما شاع لدى مؤرخي الفرق الدينية من تحامل ، وقصور ، وتشويه متعمد للخصوم إلى حد نسبة أفكار إليهم لم يقولوا بها ، لذلك فإنه يعقب على تلك العيوب قائلا : "وليس هذا سبيل الربانيين ، ولا سبيل الفطناء المميزين ، فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمسست شرحه من أمر المقالات ، واختصار ذلك ، وترك الإطالة والإكثار"^(٥) .

وفي البداية ، يؤكد الأشعري أن أول خلاف وقع بين المسلمين عقب وفاة الرسول ، ﷺ ، مباشرة ، كان حول مسألة الإمامة . لكنهم تداركوا الأمر بسرعة ، وأجمعوا على تولية أبي بكر الصديق ويذكر الأشعري أنه لم يحدث خلاف في عهد أبي بكر ، وكذلك في عهد عمر بن الخطاب . أما الخلاف الثاني فكان هو الذي وقع في نهاية عهد عثمان بن عفان ، حيث أنكر عليه البعض بعض أفعاله ، كما اختلفوا أيضا في أمر مقتله ، فرأى البعض أنه لم يقتل ظلما وعدوانا^(٦) .

أما الخلاف الأهم ، والذي كانت له آثاره الحاسمة على تاريخ المسلمين كله واستمر حتى اليوم ، فهو الذي بدأ مع خلافة علي بن أبي طالب . ومن المعروف أن جيشه خاص حربيين ضد المسلمين أنفسهم . الأولى في موقعة الجمل ضد طلحة والزبير ، وناصرتهما السيدة عائشة ، والثانية في موقعة صفين ضد معاوية وعمرو بن العاص . وإذا كان انتصار علي بن أبي طالب قد تأكد في الموقعة الأولى ، فإن الموقعة الثانية كانت نهاية حقيقية لأتباعه . وفيها حدث الانشقاق الخطير في صفوف بعضهم ، وهم الذين أطلق عليهم اسم "الخوارج"^(٧) .

== فرع مقالات الفرق الدينية ==

وفى الجزء الأول من كتاب "مقالات الإسلاميين" ، يحدد الأشعرى أمهات الفرق الدينية بالعشرة التالية وهى :

الشيعية - الخوارج - المرجئة - المعتزلة - الجهمية - الضرارية - الحسينية - البكرية - العامة - أصحاب الحديث .

ويذكر الأشعرى أن أقسام الشيعة ثلاثة هى :

* الغالية (١٥ فرقة)

* الإمامية (٢٤ فرقة)

* الزيدية (٦ فرق)

ويلاحظ أن الحديث عن الشيعة يبلغ حوالى مائة صفحة ، وهو أكبر حيز تشغله فرقة دينية ، وكما نرى فإن عدد فروعها يبلغ (٣٥) فرقة .

أما الخوارج فإن الأشعرى يذكر لهم (١٤) فرقة يتفرع من الثالثة (١٥) فرعاً . وتتفرع من السادسة (٤) فروع ، ومن الثامنة (فرعان) وهكذا يصل المجموع إلى (٣٥) فرقة . ويستغرق الحديث عن الخوارج حوالى أربعين صفحة .

أما المعتزلة ، فلا يذكر لهم الأشعرى أى فرقة ، لأنه يركز اهتمامه على أقوالهم وآرائهم التى كانت تقسمهم أحياناً إلى فرقتين أو أكثر ، لكنهم كانوا يحتمعون على مسائل أخرى فى شبه إجماع . ويستغرق الحديث عن آراء المعتزلة حوالى سبعين صفحة .

وبالنسبة إلى الجهمية ، يقسمها الأشعرى إلى قسمين : قسم ينفرد باتباع جهم بن صفوان نفسه ، والقسم الآخر يتبع ضرار بن عمر ويسمى الضرارية . ولا يتجاوز الحديث عن الجهمية أكثر من ثلاث صفحات .

وكذلك النجارية ، التي تستغرق صفحتين فقط ، و**البكرية** أيضا لا تأخذ أكثر من صفحتين .

ثم تحت عنوان "حكاية قول قوم ينتحلون النسك" يتحدث عنهم الأشعري في صفحة واحدة ، ويطلق عليهم اسم "العامة" . ومن الواضح أنه يقصد المتسكين أو الزهاد أو الصوفية .

وأخيراً يذكر الأشعري الفرقة العاشرة – وهي فرقة أهل الحديث مفصلاً بعض الشيء اعتقاداتهم التي يخالفون بها سائر الفرق الأخرى . ويستغرق الحديث عنهم خمس صفحات .

وإلى هنا ينتهى الجزء الأول من "مقالات الإسلاميين" أما الجزء الثانى فإنه يختص بذكر اختلاف الفرق فى كثير من مسائل علم الكلام . والواقع أن التركيز يتم هنا على الآراء والأفكار أكثر مما يدور حول الفرق ذاتها .

ونلاحظ على الأشعري أنه لم يبدأ – كما فعل غيره من مؤرخى الفرق الدينية – من الحديث النبوى الذى يتبأ بافتراق الأمة الإسلامية إلى ثلاث وسبعين فرقة ، ولذلك فإن إحصاء الأشعري للفرق يبلغ (٧٦) فرقة . أما الآراء أو الأفكار فإنها تتجاوز الألف ، وكلها معروضة باختصار ووضوح .

لكن العيب المنهجى الذى يمكن أن يؤخذ على "مقالات الإسلاميين" يتمثل فى أنه لم يعط الفرق العشرة الرئيسية نفس الاهتمام ، وبالتالى نفس المساحة ، أو ما يقرب منها . فبينما نجد فرقة تشغل سبعين صفحة لا تتجاوز فرقة أخرى خمس أو ثلاث صفحات ، وأحيانا صفحة واحدة !

ومهما يكن من شىء فإن كتاب الأشعري فى مقالات الفرق الدينية يعتبر أقدم مصدر مطبوع لدينا حتى اليوم . وفيه نعث على معلومات قيمة لا نجدها فى مصادر أخرى ، وكذلك معلومات هامة منقولة عن مصادر أصبحت

مفقودة ، ومما ينبغي أن يحسب للأشعري أنه - وهو صاحب مذهب رئيسي -
قد التزم الحياد والموضوعية في عرض آراء المخالفين لمذهبه ، كما أنه اهتم
ببيان سبب تسمية كثير من الفرق ، مما يلقي الضوء على نشأتها الأولى ، التي
قد تغيب عن الباحثين المعاصرين .

٢-التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي

هذا هو المصدر الثاني بعد "مقالات" الاشعري ، الذي ألفه الملطي
المتوفى سنة (٣٧٧هـ) أى بعد الأشعري بـ (٤٧) عاما ، وفي نفس القرن
الرابع الهجري . وقد ضاع من الكتاب مع الأسف الجزءان الأول والثاني ، ولم
يتبق سوى الثالث والرابع . يقول محمد زاهد الكوثري : "وقد رتب المؤلف
كتابه على أربعة أجزاء ، ونسخة (المكتبة) الظاهرية تبتدئ من الجزء الثالث.
ويظهر من إحالات المؤلف في القسم الموجود أن معظم بحوث الجزئين الأول
والثاني عن فرق اليهود والنصارى وما إلى ذلك . ولم نجد هذين الجزئين في
فهارس الخزانات ، مع بحث مديد ، ويكفي القسم الموجود منه في بيان
الفرق" (٨) .

ومن عنوان الكتاب ، يبدو أن الملطي يعلن عن موقفه من الفرق الدينية
المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ، ولذلك يشيع في الكتاب الهجوم عليهم ،
مع تفنيد آرائهم ، ووصفهم بأشنع الأوصاف .

يبدأ الملطي بذكر حادثة صلح الحديبية ، وما لاقاه الرسول ﷺ في
بداية أمر الدعوة الإسلامية من عنت المشركين ، واستفزازهم ، وتضييقهم
الخناق عليه وعلى المسلمين الأوائل ، منبهاً بذلك إلى خطورة الخروج من
جماعة المسلمين ، أو الانفراد برأى لا يستند إلى أساس من إجماع عام (٩) .

ثم يستشهد الملطى بحديث الرسول ، ﷺ ، عن افتراق اليهود والنصارى فى الماضى ، وتنبؤه بافتراق المسلمين بعد ذلك ، بقوله :

"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة : فرقة ناجية ، وسبعون فى النار .

وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة : فرقة ناجية ، وإحدى وسبعون فى النار .

وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة : واحدة ناجية ، واثنان وسبعون فى النار . ف قيل : مَنْ الناجية يا رسول الله ؟ قال : ما أنا وأصحابى عليه اليوم" (١٠) .

ويقول الملطى : "وأنا أذكر لك فى هذا الجزء الثالث الفرق الاثنتين والسبعين فرقة ، وَمَنْ هى بأسمائها ، وما تنتحل من كفرها وعدوانها ، وأنها بانتحالها وفعالها فى النار.." (١١) ومن الواضح أن اهتمام الملطى الأكبر كان هو الرد على أصحاب هذه الفرق ، أو معظمها ، وتقنيد أقوالهم ، لأنه لم يستخدم منهاجاً إحصائياً دقيقاً لحصر الـ ٧٢ فرقة التى التزم ببيانها .

والملطى فى البداية يقدم لنا احصاء (غير حصرى ولا مفصل) للفرق الدينية الإسلامية وهى :

المعتزلة (٥ فرق) ، المرجئة (بدون تعداد لفرقهم) الخوارج (١٠ فرق) .

ثم يعدد بعد ذلك فرقاً أخرى (عددها ٦ فرق) لكى يخرج منها العدد (٧٢) وهى : الزنادقة (٥ فرق) ، الجهمية (٨ فرق) ، القدرية (٧ فرق) ، المرجئة (١٢ فرقة) الرافضة (١٥ فرقة) ، الحرورية (٢٥ فرقة) .. وبذلك يصير العدد (٧٢ فرقة) كما أشار إليها الحديث النبوى .

وإذا كان الأشعري قد أعطى أكبر مساحة في كتابه "مقالات الإسلاميين" للشيعة ، فإن الملطى يعطى أكبر مساحة لديه للجهمية (حوالى خمسين صفحة) لكنه يعتمد فى سرد أقوال فرقهم على أبى عاصم بن خشيش، وكذلك على الكثير من ردوده عليهم ، دون أن تكون له فضيلة هنا سوى النقل، كما فعل نفس الشيء فى نقله الشبهات التى أوردها الخصوم على القرآن الكريم من مقاتل بن سليمان نقلاً يكاد يقرب من ثلاثين صفحة^(١٢) .

ونلاحظ على الملطى عدم الدقة فى تعداد الفرق ، كما حدث عندما ذكر أن الحرورية تبلغ (٢٥ فرقة) ثم لم يذكر منها سوى (١٦ فرقة) تفرعت إحداها إلى (أربع فرق) . وبذلك لا يزيد العدد عن (٢٠ فرقة) !

وكذلك عندما ذكر أن المرجئه تبلغ (١٢ فرقة) ولم يذكر منها سوى (١١ فرقة) ، وأيضاً عندما ذكر أن الروافض (١٥ فرقة) لم يذكر منها سوى (١١ صنفاً) ، وبالنسبة إلى القدرية ، ذكر أنها (٧ فرق) لم يذكر منها سوى (٦ فرق) فقط !

إن مشكلة كتاب الملطى تكمن فى المنهج الذى لم يتم التخطيط الجيد له قبل الشروع فى تعداد الفرق الدينية ، وكذلك فى جانب آخر ، لا يقل عن ذلك أهمية ، وهو اهتمام المؤلف الشديد بالرد على المخالفين ، ودحض آرائهم ، وهو الأمر الذى جعل "بعض" المادة العلمية تنتثر أحياناً من بين يديه .

٣- الفرق بين الفرق للبغدادى

عنوان الكتاب بالكامل هو "الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم" وهذا يشير منذ البداية إلى صدور البغدادى من الحديث النبوى الذى تنبأ بافتراق الأمة الإسلامية إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة ..

وقد ذكر البغدادى أنه قسم مضمون كتابه إلى خمسة أبواب هى :

- ١- فى الحديث المأثور فى افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة .
 - ٢- فى بيان فرق الأمة على الجملة ، ومنّ ليس منها على الجملة .
 - ٣- فى بيان فضائح كل فرقة من فرق الأهواء الضالة .
 - ٤- فى بيان الفرق التى انتسبت إلى الإسلام وليست منها .
 - ٥- فى بيان الفرقة الناجية وتحقيق نجاتها ، وبيان محاسن دينه^(١٣) .
- لكن ناشر الكتاب يشير إلى أن النسخة المنقول منها الكتاب تنقص ثلاثة فصول هى :

- فصل فى بيان عصمة الله أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا .
 - فصل فى فضائل أهل السنة وأعلام علومهم وذكر أئمتهم .
 - فصل فى بيان آثار أهل السنة فى الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيها^(١٤) .
- والواقع أنه مع غياب هذه الفصول ، يبقى أن الباب الأخير من الكتاب يشير إلى ما يمكن أن تتضمنه من حقائق وأسماء لشخصيات تفصح عن الهدف الذى كان البغدادى يسعى إلى تأكيده ، وخاصة بالنسبة إلى مذهب أهل السنة وأبرز أعلامهم وأتباعهم .

وفى البداية يذكر البغدادى أن الحديث الوارد فى افتراق الأمة له أسانيد كثيرة فقد رواه عن الرسول ﷺ ، جماعة من الصحابة : كانس بن مالك ، وأبى هريرة ، وأبى الدرداء ، وجابر ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبى أمامة ، ووائل بن الأسقع ، وغيرهم . ثم يتطرق إلى أن المقصود بافتراق الأمة ليس هو خلاف الفقهاء حول مسائل الحلال والحرام فهؤلاء مجتهدون فى الفروع ، ولكن الاختلاف المقصود هو الذى ينصب على مسائل أصول الدين مثل العدل والتوحيد والوعد والوعيد ،

== فرع مقالات الفرق الدينية ==

والقدر ، والاستطاعة ، والهداية والضلالة ، وفى باب صفات الله وأسمائه وأوصافه ، وأبواب النبوة وشروطها .. فهذه المسائل وأمثالها هى التى كانت مثار الخلاف العنيف الذى وصل بالفرقاء إلى حد تكفير بعضهم بعضا .

وقبل أن يقوم البغدادى بتفصيل القول فى الفرق الدينية المفارقة لملة الإسلام ، يقوم بمحاولة لتحديد معتقدات الفرقة الناجية التى وردت الإشارة إليها فى الحديث النبوى . يقول : "والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ، ونفى التشبيه عنه ، وبنبوه محمد ، ﷺ ، ورسالته إلى الكافة ، وبتأييد شريعته ، وبأن كل ما جاء به حق ، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة ، وأن الكعبة هى القبلة التى تجب الصلاة إليها .. فكل من أقر بذلك كله ولم يشبهه ببدعة تؤدى إلى الكفر فهو السنّى الموحد" (١٥) .

ولكى يصل البغدادى إلى العدد الذى اختلفت عليه الأمة ، يبدأ من الخلاقات البسيطة الأولى التى وقعت فى تاريخ المسلمين ، وهى تتوالى على النحو الآتى :

- الاختلاف حول موضع دفن الرسول ، ﷺ : فى مكة موطنه الأول أم فى المدينة حيث توفى ؟

- الاختلاف حول من أهم أحق بالإمامة من بعده : الأنصار أم المهاجرون ؟

- الاختلاف فى موضوع فذك وتوريث التركات عن الأنبياء ؟

- الاختلاف فى ما نعى وجوب الزكاة ، وشأن قتالهم ؟

- الاختلاف بقتال طليحة حين تبنى وارثه حتى انهزم فى الشام ؟

- الاختلاف بقتال مسيلمة الكذاب ، وأمر سماح المتنبئة ، وأمر الأسود العنسى ؟

- الاختلاف بقتل سائر المرتدين ؟

وقد انشغلوا بعد ذلك بقتال الروم والفرس ، حتى تم لهم الفتوح ، وكانوا متفقين حينئذ على أصول الدين وانحصر خلافهم فقط في فروع الفقه كميراث الجد مع الإخوة ، والأخوات مع الأب والأم .. الخ وظل ذلك طوال عهد أبى بكر (سنتين) وعمر (عشر سنوات) وست سنوات من خلافة عثمان .

- ثم اختلفوا بعد ذلك فى أمر عثمان لأشياء نقموها منه .

- ثم اختلفوا بعد قتله : فى قاتليه وخاذليه .

- ثم اختلفوا فى شأن على بن أبى طالب ، وأصحاب الجمل ، وموقعة صفين ، وحكم الحكمين ..

وفى زمن المتأخرين من الصحابة حدث :

- خلاف القدرية فى القدر والاستطاعة (معبد الجهنى ، وغيلان الدمشقى ، الجعد بن درهم) وقد وقف منهم المتأخرون من الصحابة موفقاً حاسماً : لا يسلمون عليهم ولا يعودون مرضاهم ، ولا يصلون على جنائزهم .

- خلاف واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فى أيام الحسن البصرى حول القدر ، والمنزلة بين المنزلتين ، ولذلك طردهما الحسن من مجلسه ، فاعتزلا عند سارية من مسجد البصرة وقالوا بأن الفاسق لا هو مؤمن ولا كافر ، ومنذ ذلك الوقت بدأ عهد المعتزلة .

وفى عهد على بن أبى طالب ظهرت السبائية التى قالت بالوهتية فأحرقها ونفاها ، وهى ليست من فرق المسلمين ، ثم بعد عهده افتترقت الرافضة إلى زيدية - إمامية - كيسانية - غلاة . وكل من هذه الأربع افتترقت فرقا يكفر بعضها بعضا .

أما الغلاة فخارجة تمامًا من الملة ، وكذلك الباطنية التي ظهرت بعد ذلك في عهد المأمون .

الزيدية ثلاث فرق : الجارودية والسليمانية والبتيرية (ويجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين) .

والكيسانية ترجع إلى فرقتين : إحداهما تقول : محمد بن الحنفية لم يمت وهو المهدي المنتظر ، والثانية تقول بموته وتختلف فيمن جاء بعده .

والإمامية خمس عشرة فرقة : المحمدية - الباقرية - النواسية - الشميطية - العمارية - الإسماعيلية - المباركية - الموسوية - القطعية - الإثنا عشرية - الهشامية - الزرارية - اليونسية - الشيطانية - الكاملية .

وهكذا فإن مجموع فرق الروافض عشرون فرقة .

الخوارج : بعد اختلافها صارت هي الأخرى عشرين فرقة :

المحكمة الأولى - الأزراقة - النجدات - الصفرية - العجاردة :
[الخازمية - الشعبية - المعلوماتية - المجهولية - المعيدية - الرشيدية -
المكرمية - الحمزية - الإبراهيمية - الواقفة] - الإباضية [الحفصية - الحارثية -
اليزيدية أصحاب طاعة لايراد بها الله] .

لكن كلا من الزيدية والميمونية خرجتا من الإسلام (ويلاحظ أن الميمونية منشقة عن العجاردة. وإذا أحكمتنا التعداد هنا وجدناها (٢١ فرقة) إذا استبعدنا منها فرقتين لم يتبق سوى (١٩ فرقة) .

المعتزلة : ويسميه البغدادى "المعتزلة عن الحق" ، وهم عشرون فرقة :

واصلية - عمرية - هذيلية - نظامية - أمورية - عمرية - ثمامية -
جاحظية - حائطية - حمارية - خياطية - سجامية - أصحاب صالح قبة -
مويسية - كعبية - جبائية - بهشمية .

والواقع أن هذه (١٧ فرقة فقط) ومع ذلك سوف يستثنى البغدادى منها
كلا من الحايطية والحمارية ليخرجها من الملة الإسلامية .. فيبقى اذن (١٥)
فرقة من المعتزلة .

وكان من الممكن اعتبار هذا الخطأ راجعاً إلى سقط في النسخة المنقول
عنها المطبوعة ، لكننى وجدته يتكرر عند تفصيل آراء المعتزلة ، وفرقهم التى
لا تزيد هناك عن (١٥ فرقة فقط) كما هى مذكورة هنا ، وليست ٢٠ فرقة .

المرجئة : يقسمهم البغدادى إلى ثلاثة أصناف :

- صنف قالوا بالإرجاء ، وضموا إليه القول بالقدر ، فهم مرجئة قدرية .
- صنف قالوا بالإرجاء ، ومالوا إلى رأى الجهمية فى الأعمال والكسب ، فهم
مرجئة جهمية .

- صنف اقتصروا على الإرجاء وحده ، وهؤلاء خمس فرق :

اليونسية ، والغسانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية .

وبهذا التقسيم والتفريع يصبح العدد (سبع فرق) وليس عشرا ، كما
يؤكد البغدادى هنا^(١٧) ، ولكنه حين يعود بعد ذلك لشرح أدلتهم يذكر أنهم
(خمس فرق) فقط!!^(١٨)

النجارية والبكرية والضرارية والجهمية والكرامية :

وبالنسبة إلى النجارية يذكر البغدادى أنها على عصره تصل إلى عشر
فرق لكنها ترجع إلى ثلاث : البرغوثة والزعفرانية والمستدركة . وكذلك

== فرع مقالات الفرق الدينية ==

بالنسبة إلى الكراميه التي بخراسان إلى ثلاث فرق : الحقايقية والطرايقية والاسحاقية .

ثم يعقب البغدادي على هذا التقسيم ، وتفريعاته ، قائلا : فهذه الجملة التي ذكرناها تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة . منها :

عشرون روافض ، وعشرون خوارج ، وعشرون قدريه ، وعشرون مرجئة ، وثلاث : نجارية وبكرية وضرارية ، وجهمية وكرامية (كذا !!) فهذه ثنتان وسبعون فرقة (كذا !!)^(١٩) .

وأهم ما يلاحظ على تقسيم البغدادي وتفريعاته للفرق الدينية هو عدم الدقة في العدد من ناحية ، وغياب الحديث تماما عن بعض الفرق المذكورة من ناحية أخرى . لكنه يسجل آراء الفرق ، ويقوم بدحض أفكارها المخالفة لمذهب أهل السنة ، ولا يخلو نقده لها من استخدام أقسى العبارات كالجهل والغش والتكفير . ويمتاز الكتاب بمعاصرة المؤلف للكثير من هذه الفرق ، والدخول مع بعض أتباعها في مناظرات حية ، كان يلزمهم فيها الحجة فلا يستطيعون إجابة !

٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم

يبدأ ابن حزم كتابه الضخم (خمسة أجزاء في أكثر من ألف صفحة) ببيان أخطاء المؤلفين السابقين عليه في مقالات الفرق الدينية مسجلاً عليهم المآخذ الثلاثة التالية

أولاً : أن بعضهم أطال وأسهب وأكثر وهجر واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم قاطعاً دون العلم .

ثانياً : وبعضهم حذف وقصر وقلل واختصر وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات فكان في ذلك غير منصف لنفسه ، وظالماً

لخصمه فى أن لم يوفه حق اعتراضه ، وبإخسًا حق من قرأ كتابه ، إذ لم يغنه عن غيره .

ثالثًا : وكلهم عقد كلامه تعقيدًا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلق على المعانى من بُعد ، حتى صار يُنسى آخر كلامه أوله .. فكان هذا منهم غير محمود فى عاجله وآجله (٢٠) .

ويخصص ابن حزم الجزء الأول لنقد التوراة التى بأيدى اليهود (٢١) ، ومعظم الجزء الثانى لنقد الأنابيل المحرفة ، فى حين يبدأ الجزء الثالث من الكتاب فى ذكر نحل (جمع نحلة) أهل الاسلام ، وافتراقهم فيها ، وإيراد حججهم ، والقيام بإبطالها كما جرى عليه الحال بالنسبة إلى الملل (جمع ملّة) يقول ابن حزم : "فرق المقرين بملّة الإسلام خمسة هم :

- أهل السنة .

- المعتزلة .

- المرجئة .

- الشيعة .

- الخوارج .

ثم افرقت كل واحدة من هذه الفرق الكبرى إلى فرق ، بعضها يقترب من أهل السنة (كالمرجئة) وبعضها يبعد (مثل الجهمية والكرامية والأشعرى).

وهنا نلاحظ أن ابن حزم لا يسعى إلى تعداد الفرق الدينية ومحاولة إيصال هذا التعداد إلى (٧٢) فرقة) كما فعل المؤلفون فى مقالات الفرق قبله (٢٢) ويبدو بوضوح أن تركيزه الأساسى كان منصبًا على آراء هذه الفرق، والقيام

بالرد عليها وتفنيدها . وهو يحدد لنا جوهر المذهب الرئيسى الذى تبنّته كل فرقة من الفرق الخمس فيما يلى :

فالمرجئة عمدتهم التى يتمسكون بها الكلام فى الإيمان والكفر : ما هما؟ والتسمية بهما ؟ والوعيد . ثم اختلفوا فيما عدا ذلك .

والمعتزلة عمدتهم الكلام فى التوحيد ، وما يوصف به الله تعالى ، وقد يزيد بعضهم الكلام فى القدر ، والتسمية بالفسق أو الإيمان ، والوعيد .

والخوارج عمدتهم الكلام فى الإيمان والكفر ، ما هما ؟ والتسمية بهما؟ والوعيد ، والإمامة ، ثم التحكيم .

والشيعية عمدتهم تفضيل على بن أبى طالب بعد رسول الله ، على كل الناس ، وهو كان الأحق بالإمامه من بعده مباشرة ، ثم يفترون فى تسمية الأئمة من نسل على بن أبى طالب .

أما أهل السنة فهم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدعة ، وهم الذين يمثلهم الصحابة ، رضى الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها^(٢٣) .

ويذكر ابن حزم أنه تناول بالعرض والدحض أيضا كل آراء الفرق الدينية المخالفة لأهل السنة . يقول : "وقد أوضحنا شنع (جمع شناعة) جميع هذه الفرق فى كتاب لنا لطيف اسمه "النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع ، من الفرق الأربع : المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيعية" ثم أضيفناه إلى آخر كلامنا فى النحل من كتابنا هذا - يقصد كتاب الفصل^(٢٤) .

والواقع أن ابن حزم لا يركز على الفرق وأسمائها وتفرعاتها إلا بقدر ما يتصدى لآرائها (الشيعة) على حد تعبيره ، لكي يدحضها ويفندها بأسلوبه القاطع ، ومنهجه الجدلى الصارم ، معتمداً فى ذلك على ظاهر القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ﷺ ، المقطوع بصحتها .

ويبقى أن كتاب "الفصل" لابن حزم يظل هو أكبر موسوعة تحتوى على آراء وأفكار ومذاهب الفرق الدينية منذ نشأتها وحتى القرن الخامس الهجرى ، كما أن ردوده على ذلك كله تمثل حججاً قوية فى الرد عليها وتفنيدها .

٥- التبصير فى الدين للاسفرايينى

اسم الكتاب بالكامل "التبصير فى الدين ، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين" .

يسير الاسفرايينى على خطى الملطى فى كتابه "التبصير والرد" فيستعرض الخلافات التى وقعت للمسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ (٢٥) ثم يورد الحديث النبوى الذى يتنبأ بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة (٢٦) ، ويحاول أن يقسمها ، ويسمى فروعها حتى تصل إلى هذا العدد ، وهى عنده على النحو التالى :

الرافضة أو الشيعة ومن جملتهم الزيدية وهم ثلاث فرق (الجارودية والسليمانية والأبترية) وكذلك من جملتهم الكيسانية وهم فرقتان .

أما الامامية من الشيعة فهم (١٥ فرقة) : (المحمدية - الباقرية - الناوسية - الشميطة - العمارية - الاسماعيلية - المباركية - الموسومة - القطعية - الاثنا عشرية - الهشامية - الزرارية - اليونسية - الشيطانية - تكاملية) .

فرع مقالات الفرق الدينية

ثم هناك بعد ذلك (ست فرق) خارجة عن الإسلام وهى (البيانية -
المغيرية - المنصورية - الجناحية - الخطابية - الحلولية) .

الخوارج وهم : المحكمة الأولى ، والأزارقة ، والنجدات والصفورية
والعجاردية والإباضية. ومن العجاردة تنفرع (٩ فرق) : الخارجية - الشعبية -
الشيبانية - المعيدية - الرشيدية - المكرمية - الحمزية - الإبراهيمية -
الواقفية .

ومن الإباضية (أربع فرق) : الحفصية . الحارثية . الزيدية . أصحاب
طاعة لا يراد بها الله تعالى . لكن الزيدية والميمونية تخرجان من الإسلام
بمذاهبهما الصارخة .

القدرية أو المعتزلة وهم عشرون فرقه : الواصلية - الهذلية -
العَمَروية - النظامية - الأسوارية - المعمرية - الاسكافية - الجعفرية -
البشرية - المردارية - الهشامية - الثمامية - الجاحظية - الخابطية -
الحمارية - الخياطية - الشحامية - أصحاب صالح قبة - المؤنسية -
الكعبية - الجبائية - البهشمية .

ومن الفرق الخارجة منها عن الإسلام كل من الخابطية والحمارية

المرجئة وهم ثلاث فرق تصبح مع التفصيل سبع فرق : فرقة تجمع بين
الإرجاء والقدر مثل الخالدية ، وفرقة تجمع بين الإرجاء ومذهب الجهمية ،
وفرقة تالئة جوزت الإرجاء ولم تقل بالقدر وهى خمس فرق (اليونسية)،
الغسانية . الثوبانية . التومنية . المريسية) .

ثم هناك بعد ذلك ثلاث فرق هى البكرية المقيمون بالرى وهم أكثر من
عشر فرق . والضرارية ، ثم الجهمية ، وفرقة يطلق عليها كرامية خراسان
وهم ثلاث فرق : الحقائقية والطرائقية والإسحاقية ويعدون فرقة واحدة .

ونلاحظ أنه على الرغم من اضطراب هذا التعداد بأصوله وتفرعاته فإن الاسفراييتي ينهى حديثه عنه قائلا : "فهؤلاء الذين ذكرناهم اثنتان وسبعون فرقة" (٢٧) ثم يأخذ بعد ذلك في عرض مقالات الفرق والرد عليها مستعينا بالمعلومات التاريخية المتوفرة لديه من المصادر السابقة عليه ، لكنه يتميز بالاختصار والوضوح معا . يقول الشيخ الكوثري الذي قدم بمقدمة مركزة ورائعة للكتاب : "والمصنف رحمه الله استوفى في هذا الكتاب - من غير إملال ولا إخلال - بيان عقائد أصحاب الملل والنحل ببعض عنف في بعض المواقف ، حيث كان يرى ذلك أجدى في ترصين السياج حول معتقد أهل الحق في عهد استفحال شرور أهل الزيع" (٢٨) ومع ذلك فهو يعود فيعتذر عن الروح العلمية المحايدة أو الموضوعية التي كان ينبغي أن يتحلى بها المؤلف قائلا إنه "للتاريخ المجرد شأن ، ولحراسة الحق شأن آخر" (٢٩) .

إن من مميزات الطبعة التي رجعنا إليها أنها تحتوى بالإضافة إلى مقدمة الشيخ الكوثري البالغة أهمية ، تقديمًا آخر للكتاب بقلم المرحوم محمود الحضيرى ، والذي أشار فيه إلى أهمية فرع مقالات الفرق الفرق الدينية فى الإسلام ، وأطلق عليه مصطلح "علم مقالات الفرق" .

٦- الملل والنحل للشهرستاني

هذا كتاب يكاد يكون فريداً بين مصادر الفرق الدينية ، بسبب أن مؤلفه أكد فى مقدمته أنه سوف يلتزم بإيراد أقوال الفرق دون الرد عليها ، أو دحض حججهم ، ولا شك أن هذا المنهج أقرب إلى الموضوعية ، لأن التركيز يكون منصبا فيه على الفرق ومقالاتها دون التشتت فى الرد عليها ، أو استخدام ألفاظ التكفير والتفسيق التى قد تشوش على القارئ الوصول بسهولة إلى الآراء الحقيقية ، وهذا ما يجعل فرع مقالات الفرق الدينية "يتميز عن علم الكلام" الذى يعتبر هو الساحة الطبيعية لإيراد آراء المخالفين والرد عليها .

وفى المقدمة الثانية للكتاب ، يأخذ الشهرستاني على المؤلفين فى مجال مقالات الفرق الدينية أمراً منهجياً هاما ، وهو خلطهم أحيانا بين أصحاب المقالات الأساسية ، وأصحاب المقالات أو الآراء الفرعية ، واعتبار كل من هؤلاء أصحاب فرق تستحق الوصف بهذه التسمية . يقول : "ومن المعلوم الذى لامرأ منه أن ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما ، فى مسألة ما ، عُدَّ صاحب مقالة وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد" (٣٠) .

كذلك يأخذ على سابقيه مأخذاً آخر لا يقل عن ذلك أهمية ، وهو استرسالهم فى إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق ، وعلى الوجه الذى وجد ، لا على قانون مستقر ، وأصل مستمر" (٣١) لذلك فإنه يقوم بحصر هذه المذاهب فى أربع قواعد هى الأصول الكبار ، وهى :

١- الصفات والتوحيد .

٢- القدر والعدل فيه .

٣- الوعد والوعيد والأسماء والأحكام .

٤- السمع والعقل ، والرسالة ، والإمامة (٣٢) .

ثم يقول : "فإذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه القواعد، عددنا مقالته مذهباً وجماعته فرقة . وإن وجدنا واحدا انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهباً وجماعته فرقة ، بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن سواها مقالته ، ورددنا باقى مقالاته إلى الفروع التى لا تعد مذهباً مفرداً ، فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية .." (٣٣) .

وهكذا يخلص الشهرستاني إلى تحديد كبار الفرق الإسلامية فى الأربع

التالية :

١- القدريّة ٢- الصفات ٣- الخوارج ٤- الشيعة

ثم يتركب بعضها مع بعض ، ويتشعب عن كل فرقة أصناف ، فتصل إلى (٧٣ فرقة)^(٣٤) .

وعلى الرغم من هذا النقد المنهجي المتميز لدى الشهرستاني ، ومحاولته إقامة تعداده للفرق الدينية على مبدأ الحساب (الغامض إلى حد ما) فإنه يعود فيتابع المؤلفين السابقين على ابن حزم ، الذين التزموا بإيصال عدد الفرق الدينية إلى (٧٣ فرقة) كما ورد في الحديث النبوي ، والذي نقده البعض من حيث الإسناد ، كما ذهب البعض الآخر إلى أن العدد السبعيني فيه يعنى مجرد الكثرة^(٣٥) .

لذلك فإنه يعددها على النحو التالي :

المعتزلة (١٢ فرقة) الجبرية (٣ فرق) الصفانية (٣ فرق) الخوارج (٨ فرق ، يتفرع من إحداها ٧ فرق) ومن واحدة أخرى (٣ فرق) المرجئه (٦ فرق) الشيعة (٥ فرق كبرى يتفرع منها ٤ ، ٣ ، ٧ ، ١٠) فهذه (٣٧ فرقة كبرى) بالإضافة إلى (٣٤ فرقة صغرى) وبذلك يكون المجموع (٧١ فرقة) وليس (٧٢ فرقة) كما أراد المؤلف أن تكون !!

وعلى الرغم من الوقوع فى مشكلة العدد ، الذى يمكن نقضه بظهور فرق أخرى بعد عصور جميع المؤلفين فى مقالات الفرق الدينية ، فإن كتاب الشهرستاني يظل من أوضح وأصفى المصادر فى مقالات الفرق الدينية ، ويرجع السبب الرئيسى فى ذلك إلى خلوه من الرد والدحض والهجوم على المخالفين ، كما ركز على ذلك معظم من تناولوا هذا المجال .

٧- الغنية لطالبي طريق الحق للجيلالى

المؤلف هنا من أعلام التصوف الإسلامى . وعنوان كتابه يدل على الغرض منه ، وهو - كما يقول فى المقدمة - "معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسنن والهيئات ، ومعرفة الصانع ، عز وجل ، بالآيات والعلامات، ثم الاتعاظ بالقرآن والأفاظ النبوية فى مجالس تذكرها ، ومعرفة أخلاق الصالحين .. ليكون عوناً له على سلوك طريق الله ، عز وجل ، وامتنال أوامره ، وانتهاء نواهيه" (٣٦) .

أما الفرق الدينية ، والتي يطلق عليها "الفرق الضالة عن طريق الهدى"، فتشغل اثنتى عشر فصلاً من الجزء الأول من الكتاب" والذي دفعه إلى ذلك محاولته تحصين المسلم من أهل البدع ، الذين انحرفوا بمقالاتهم عن المفهوم الصحيح للدين . وهذا المفهوم هو الذى يتمسك به أهل السنة ، وهم فرقة واحدة، بينما يتفرع من الفرق الأخرى المبتدعة فرق كثيرة ، تصل إلى اثنتين وسبعين فرقة ، كما حددها الحديث النبوى .

ويرجع الجيلانى تلك الفرق الكثيرة إلى أصولها العشرة التالية :

الخوارج (١٥ فرقة) ، المعتزلة (٦ فرق) ، المرجئة (١٢ فرقة) الشيعة (٣٢ فرقة) ثم الجهمية والنجارية والضرارية والكلابية ، وأخيراً المشبهة (٣ فرق) فهذه اثنتان وسبعون فرقة ، إذا أضفنا إليها أهل السنة صار العدد (٧٣ فرقة) كما ورد فى الحديث النبوى .

والواقع أن الجيلانى يذكر باختصار ووضوح أيضاً آراء كل فرقة من أمهات هذه الفرق ، مبيناً فى الغالب سبب تسميتها ، ومحددًا أسماء زعمائها ، وأماكن تواجدها . وهو يقوم عقب ذكر آراء الفرق بالرد عليها ، ونقدها أو دحضها فى معظم الأحوال ، وهو يقول فى نهاية عرضه لها : "وإنما لم نشر

إلى إبطال كل مذهب من مذاهب هذه الفرقة الضالة خوفاً من إطالة الكتاب ، وإنما أوردنا ذكر مقالاتهم مجردة للتحذير منها ^(٣٧) ثم يدعو قائلًا : "أعاذنا الله وإياكم من شر هذه المذاهب وأهلها ، وأماتنا على الإسلام والسنة في الفرقة الناجية برحمته" ^(٣٨) .

ونلاحظ أن الجيلاني لم يكن قصده الأساسي إلى وضع مؤلف خاص بالفرق الدينية ، بقدر ما كان حريصا على ذكرها لكي يحذر منها المسلم ، الصحيح العقيدة والإيمان ، وهو على امتداد كتابه الضخم يقوم بتحديد العناصر الدينية الصحيحة من القرآن والسنة وإجماع الصحابة وسيرة السلف الصالح ، لكي يتبين من ذلك تمييز الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ .

٧- اعتقادات فرق المسلمين والمشرकिन للرازي

هذه رسالة مختصرة للغاية في تعداد الفرق الدينية وذكر بعض مقالاتها ، وليس كلها . وهو يحدّد عدد هذه الفرق على النحو التالي :

- فرق المعتزلة (١٧ فرقة) .
- فرق الخوارج (٢١ فرقة) .
- فرق الروافض : (٣ طوائف : الزيدية ٣ فرق ، الإمامية ١٣ فرقة ، الغلاة ١٥ فرقة ، ثم الكيسانية : (فرق كثيرة منها يكتفى منها بذكر ٤ فرق فقط).
- فرق المشبهة (٥ فرق) .
- فرق الكرامية (٧ فرق) .
- فرق الجبرية (٤ فرق ، منها البخارية التي تفترق إلى ٤ فرق أصغر).
- فرق المرجئة (٥ فرق) .
- فرق الصوفية (٦ فرق) .

إن هذه الفرق التى ذكرها الرازى تبلغ (١٠٤ فرقة) . وهو عدد يتجاوز بكثير (الرقم ٧٣) الذى ورد فى الحديث النبوى . وقد تنبه الرازى لهذا فأورد سؤالاً من مجهول يقول : "فإن قيل إن هذه الطوائف التى عددهم أكثر من ثلاث وسبعين ، ورسول الله ، ﷺ ، لم يخبر بأكثر ، فكيف ينبغى أن يعتقد فى ذلك ؟

والجواب عن هذا - كما يقول الرازى : "أنه يجوز أن يكون مراده ، عليه الصلاة والسلام ، ذكر الفرق الكبار . وما عدنا من الفرق ليست من الفرق العظيمة . وأيضاً فإنه أخبر أنهم يكونون على (٧٣ فرقة) لم يجز أن يكونوا أقل منها . وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك . كيف ولم نذكر فى هذا المختصر كثيراً من الفرق المشهورة . ولو ذكرناها كلها مستقصاة لجاز أن يكون أضعاف ما ذكرنا ، بل ربما وجد فى فرقة واحدة من فرق الروافض - وهم الإمامية - ثلاث وسبعون فرقة" (٣٩) !

وهكذا فإن الرازى يفهم الحديث النبوى بصورة خاصة . وهى أن العدد المذكور فيه ليس حصرياً ، وإنما هو لمجرد التكميل ، بمعنى أن عدد الفرق الدينية يمكن أن يزيد عنه بكثير .

أما الملاحظة الأخرى الهامة فهى أن الرازى - من بين كل مؤرخى مقالات الفرق - قد أدرج جماعات الصوفية^(٤٠) وهذا ما لم يفعله عبد القادر الجيلانى نفسه الذى كان من كبار الصوفية - وقد قسمهم الرازى إلى (٦ فرق) .

١- أصحاب العادات ، وكل همهم تزيين الظاهر كلبس الخرفة وتسوية السجادة.

٢- أصحاب العبادات ، وهم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشغال.

٣- أصحاب الحقيقة ، وهم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بالنوافل ، بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية ، وعدم خلو سرهم عن ذكر الله ، وهؤلاء خير فرق الآدميين .

٤- النورية : الحجاب نوعان نورى ونارى . الأول كالتوكل والشوق والأنس والوحدة .. الخ ، والنارى كالشهوة والغضب والحرص والأمل .

٥- الحلولية الذين يدعون حلول الجنب الإلهى فى الإنسان .

٦- المباحية الذين يذهبون إلى حد رفع التكليف ، وهؤلاء أشر الطوائف .

٨-المواقف فى علم الكلام للإيجى :

هذا الكتاب من أهم وأكبر مؤلفات علم الكلام (٤٣٠ صفحة). تتناول الإيجى فى ثناياه الكثير من آراء المتكلمين والفرق الدينية لكنه خصص فى آخر الكتاب (تذييلاً) فى ذكر الفرق التى أشار إليها الرسول ، ﷺ ، بقوله "ستفترق أمتى ثلاثاً وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة ، وهى ما أنا عليه وأصحابى" - ثم يعقب الإيجى قائلاً : "وكان ذلك من معجزاته ، حيث وقع ما أخبر به" (١) .

يقول الإيجى : "اعلم أن كبار الفرق الإسلامية ثمانية : المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة والناجية" (٢) ثم يتبين بعد ذلك أن فروعها كالتالى :

١- المعتزلة (٢٠ فرقة) .

٢- الشيعة (٢٢ فرقة) ، ومنها الزيدية (٣ فرق) .

٣- الخوارج (٧ فرق) منها الاباضية (٤ فرق) والعجاردة (١٠ فرق) والنعالية (٤ فرق) .

- ٤- المرجئة (٥ فرق) .
 - ٥- النجارية (٣ فرق) .
 - ٦- الجبرية .
 - ٧- المشبهة ، ومنهم مشبهة الحشوية ، ومشبهة الكرامية .
 - ٨- الفرقة الناحية وهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة^(٤٣) .
- ومن الواضح أن هذه الفرق تزيد عن الثلاث والسبعين فرقة المذكورة في الحديث النبوي ، ومع ذلك فإن الإيجي - كما رأينا - يؤكد على مفهوم العدد الوارد فيه ، بل إنه يعتبره معجزة للرسول ﷺ .
- ومهما يكن من أمر ، فإن كتاب الإيجي الذي توفي سنة ٧٥١هـ ، يعد آخر مصدر في قائمتنا التي أوردناها في مقالات الفرق الدينية والتي تبدأ من مطالع القرن الرابع الهجري وتستمر حتى منتصف القرن الثامن الهجري ، الأمر الذي يدل على أن الاهتمام بمقالات الفرق الدينية ظل مستمرا لدى علماء هذا المجال ما يقرب من أربعة قرون ونصف ، ولا شك أن هذا الاهتمام كان يعكس حاجة المجتمع الإسلامي إلى التعرف على حقيقة هذه الفرق : نشأتها وتطورها والنتائج التي ترتبت عليها ، أو بالأحرى ، خطورة ما روج له الكثير منها على عقيدة المسلمين خلال تلك الفترة الطويلة .

نتائج البحث :

أولاً : أن عدد الفرق الدينية التى ظهرت ثم تفرعت فى المجتمعات الإسلامية يفوق عدد الاثنتين والسبعين فرقة التى حاول كثير من مؤرخى هذه الفرق أن يصلوا إليه . فإذا أضفنا إلى ذلك ما ظهر بعدهم ، أى بعد القرن الثامن الهجرى حتى الآن لبلغ العدد أكثر من مائة فرقة .

ثانياً : أن بعض مؤرخى الفرق الدينية قد فهم العدد الوارد فى الحديث النبوى على أنه لمجرد التكرير على عادة اللغة العربية مع الرقم سبعة أو الرقم سبعين ، ولذلك لم يتكلفوا إيراد فرق دينية قد تكون مجرد فروع بسيطة داخل فرق أكبر ، كما أن بعضهم شكك فى صحة الحديث وخاصة من حيث سنده .

ثالثاً : أن الخلافات والاختلافات لم تكن تحدث بين الفرق الكبرى وبعضها البعض ، وإنما كانت تجرى داخل الفرقة الواحدة ، الأمر الذى يجعلها تضم عدة فرق متنافرة ، قد يكفر بعضها بعضاً .

رابعاً : أن بعض هذه الفرق الدينية قد ابتعدت كثيراً عن صريح القرآن الكريم ، وصحيح المعقول ، فتبنت آراء غاية فى الغرابة والشذوذ . ومما يدهشنا اليوم هو كيف أن زعماء هذه الفرق قد استطاعوا أن يقنعوا أتباعهم بمثل هذه الآراء ، ومنها على سبيل المثال : إباحة زواج الجد من حفيداته !

خامساً : إن القيام بتحليل مضمون لمقالات الفرق الدينية يكشف - مبدئياً - حقيقة الاهتمامات أو الاتجاهات التى سادت المجتمعات الإسلامية فى عصورها المختلفة ، كما ينبغى الأخذ فى الاعتبار العلاقة الجدلية بين السلطة الحاكمة وممثلى الفكر الدينى ، وزعماء تلك الفرق ، وهى علاقة تستحق إلقاء مزيد من الضوء عليها .

سادسًا : إن الكثير من مؤرخى الفرق الدينية قد قاموا بدور هام ومشكور للغاية فى الرد على مقولاتها وتفنيدها ، وإن كانت لهجتهم قد اتسمت أحيانًا بالقسوة ، فقد كان الغرض من ذلك هو حماية المسلمين من مخاطرها على عقيدتهم ومن التشويش على تصورهم المعتدل للإسلام .

سابعًا : إننا نوصى شباب الباحثين فى علم الكلام الإسلامى أن يتبهبوا لهذا المجال الذى ظل مهملاً لفترة طويلة ، وهو مجال (مقالات الفرق الدينية) والتي أطلق عليه المرحوم الخضيرى مصطلح "علم" لكى يقوموا بدراسته دراسة تاريخية من ناحية لبيان تسلسل الأفكار وتناسلها بين الفرق ، وكذلك دراسة تحليلية لبيان مدى اقترابها أو ابتعادها من المفهوم الصحيح للإسلام .

ثامنًا : أن دراسة مقالات الفرق الدينية فى الماضى ينبغى أن يفتح الباب لدراسة مثيلاتها فى العصر الحاضر . ويمكن القول بأن بعض الفرق الدينية المعاصرة تستمد الكثير من عناصرها من تلك الفرق القديمة ، وتعيد إنتاجها من جديد ، وهذا ما يجعل من هذه الدراسة مجالاً قديماً - جديداً فى نفس الوقت .

تاسعًا : إن العصر الحاضر يموج بالفرق الدينية ، والاتجاهات التى تقترب من بعض الفرق القديمة ، ويكفى أن أشير هنا إلى الساحة المصرية وحدها وما يوجد بها - حالياً - من فرق وتيارات إسلامية وغير إسلامية ، ويمكن تحديدها فيما يلى :

١- مؤسسة الأزهر الرسمية .

٢- مدرسة (كلية دار العلوم) .

٣- المسيحيون (طوائف مختلفة) .

٤- جماعة الإخوان المسلمين .

٥- السلفيون (جماعات متعددة) .

٦- الجماعة الإسلامية .

٧- جماعة الجهاد .

٨- البهائيون (قلة) .

٩- الشيعة (قلة) .

١٠- مفكرون إسلاميون مستقلون .

ولا شك أن لكل تيار أو فرقة من هذه الفرق الدينية مقالاتها الخاصة ،
التي قد تقرب أو تبتعد من جاراتها ، لكنها في نهاية الأمر تؤذن بالصدام
الفكري الذي قد يتطور بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية إلى صراع
واضح وصريح ، تماماً كما حدث في الماضي . وهذا ما يلقي على دارسي
الفلسفة الإسلامية المعاصرين مسئولية رصد مقولاتها الدينية من ناحية، والعمل
في نفس الوقت على دعوتها إلى الحوار بالأفكار ، بدلاً من التصارع بالسلاح
كما كان يحدث في الماضي . ومن هنا تتبين أهمية وخطورة هذا الفرع المحدد
من فروع علم الكلام الإسلامي .

* *

هوامش البحث :

(١) انظر كلمته التقريرية التى كتبها بمناسبة نشر كتاب التبصير فى الدين للاسفرائىلى سنة ١٩٤٠ . مطبعة الأنوار بالقاهرة ، الذى نشره السيد عزت العطار ، وقدم له الشيخ محمد

زاهد الكوثرى .

(٢) أورده الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد فى ص ١/٢٧ فى مقدمته لمقالات الإسلاميين للأشعرى الذى حققه ونشره سنة ١٩٥٠ - مكتبة النهضة بالقاهرة .

(٣) مقالات الإسلاميين ٣٣/١ .

(٤) السابق ، نفس الصفحة .

(٥) السابق ، نفس الصفحة .

(٦) السابق ٤٩/١ .

(٧) السابق ٥٤/١ .

(٨) التنبيه والرد للملطى . مقدمة الكوثرى صفحة (د) .

(٩) السابق من ص ٤ حتى ص ١٠ .

(١٠) السابق ، ص ١٢ / ١٣ .

(١١) السابق ، ص ١٢ .

(١٢) السابق من ص ٥٤ - ٨٠ .

(١٣) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣ .

(١٤) السابق ، ص (جـ) .

(١٥) السابق ، ص ١٠ .

(١٦) السابق من ص ١٢ - ٢٠ .

(١٧) السابق ، ص ١٩ .

(١٨) السابق ، ص ١٩٠ وما بعدها .

- (١٩) السابق ، ص ١٩ .
- (٢٠) الفصل لابن حزم ٢/ ١ .
- (٢١) انظر بحثنا حول هذا الموضوع بعنوان "منهج النقد التاريخي عند ابن حزم الأندلسي : نموذج من نقد التوراة" في كتابنا : منهج البحث بين التنظير والتطبيق، مكتبة نهضة مصر ٢٠٠٧.
- (٢٢) الفصل ١/ ١١١ .
- (٢٣) السابق ٣/ ١١٣ .
- (٢٤) السابق ٢/ ١١٦ .
- (٢٥) التبصير في الدين ، ص ١١ .
- (٢٦) السابق ، ص ١٥ .
- (٢٧) السابق ، ص ١٦ .
- (٢٨) السابق المقدمة ، ص ٦ .
- (٢٩) السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٠) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤ .
- (٣١) السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٢) السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٣) السابق ، ص ١٥ .
- (٣٤) السابق ، نفس الصفحة .
- (٣٥) انظر المقدمة القيمة للشيخ الكوثري ٣-٥ .
- (٣٦) الغنية للجبلاني ، ص ١ .
- (٣٧) السابق ص ٩٥ .
- (٣٨) السابق ، نفس الصفحة .

فرع مقالات الفرق الدينية

(٣٩) اعتقادات فرق المسلمين .. للرازي ص ١٧ .

(٤٠) السابق ، ص ١١٠ وما بعدها .

(٤١) المواقف للإيجي ، ص ٤١٤ .

(٤٢) السابق ، نفس الصفحة .

(٤٣) السابق ، ص ٤٣٩ .

* *

مصادر البحث :

- الاسفرايينى : التبصير فى الدين .
- تقديم الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، وتذييل عن علم مقالات الفرق للأستاذ محمود الخضيرى مطبعة الأنوار . القاهرة ١٣٥٩هـ .
- الأشعرى : مقالات الإسلاميين
- تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة . القاهرة ١٩٥٠ .
- الإيجى : المواقف فى علم الكلام .
- مكتبة المتنبي بالقاهرة . دون تاريخ .
- البغدادى (عبد القاهر) : الفرق بين الفرق .
- ط. ثلاثة . بيروت ١٩٧٨ .
- الجيلانى (عبد القادر) : الغنية لطالبى طريق الحق .
- دار الآداب . دمشق . دون تاريخ
- ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل .
- (فى خمسة أجزاء) المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧هـ .
- الرازى (فخر الدين ت ٦٠٦) :
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - شرح طه عبد الرؤوف ومصطفى الهوارى - مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٩٧٨ .
- الشهرستانى : الملل والنحل
- (فى جزئين) تحقيق أحمد سيد كيلانى - مطبعة الحلبي . القاهرة ١٩٧٧ .
- الملطى : التنبيه والرد
- تقديم الشيخ محمد زاهد الكوثرى - ط. المثنى ببغداد ، والمعارف ببيروت . ١٩٦٨ .

* * *